

تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.comزيارة البابا التاريخية إلى العراق
رسالة دعم للمسيحيين وتوسيع الحوار مع المسلمين

تجاهل البابا المخاطر الأمنية والصحية واراها زيارة مكملة لزيارة الامارات.

البابا فرنسيس اول بابا في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية يزور العراق. زيارة حملت رسالة سلام ورجاء وامل، وعاش في خلالها العراقيون فرحا كبيرا واستثنائيا لم يعهده منذ سنوات عقود. زيارة كانت حافلة بالمحطات والرسائل، من رسالة الدعم المعنوي والروحي للمسيحيين او من تبقى منهم في العراق، ورسالة شكر للمرجع الشيعي الاول اية الله علي السيستاني

اصر البابا على المجيء الى العراق متجاهلا ومتجاوزا المخاطر والمحاذير، سواء منها الصحية مع استمرار جائحة كورونا، او الامنية مع استمرار التوترات الامنية والهجمات الصاروخية على القواعد الاميركية. واذا كان البابا القديس يوحنا بولس الثاني دخل الى المنطقة من باب المشرق العربي (لبنان - سوريا - فلسطين - الاردن)، فان البابا فرنسيس دخل من باب الخليج الذي صار العراق جزءا من امنه والصراع الدائر على ارضه. زيارته الاولى كانت الى الامارات التي منها جرى الاعلان عن وثيقة اخوة انسانية، اسلامية - مسيحية، موقعة من البابا فرنسيس وشيخ الازهر

الدكتور احمد الطيب. بهذا المعنى، تكون زيارة البابا الى العراق مكملة لزيارته الى الامارات والوجه الاخر لها. واذا كانت زيارته الاماراتية طبعت بلقائه مع شيخ الازهر كمرجعية سنية، فان زيارته العراقية طبعت بلقائه مع اية الله علي السيستاني، المرجع الشيعي الابرز ان لم يكن الاول في العالم، من دون اغفال محطة ثانية مهمة توقف فيها البابا، وهي اربيل عاصمة اقليم كردستان. هناك تقدير خاص في الفاتيكان للدور الذي لعبه الاكراد في حماية المسيحيين عندما اجتاحت داعش شمال العراق، وتحوّل اقليم كردستان الى ملجأ وملاذ لمئات

الالاف من المسيحيين واليزيديين. اذا كان اللقاء بين البابا والسيستاني شكل حدثا مفصليا وغير مسبوق بالنسبة الى المسلمين في العراق الذين يشكل الشيعة 60 في المئة منهم، فان زيارة البابا الى العراق تشكل رسالة سياسية قوية بالنسبة الى المسيحيين ووجودهم في العراق. لكن يبقى ان الهدف الاساسي والاسمى لزيارة البابا الى العراق، هو اصال رسالة دعم وتضامن مع المسيحيين الذين عانوا كثيرا وعرفوا كل اشكال القهر والاضطهاد. لم يكن اللقاء التاريخي في النجف الاشرف بين البابا والسيستاني خاليا من الرسائل

السياسية، في ظل تمسك السيستاني بـ"لائته السابع". وهذه اللائحة، المستوحاة من البيان الصادر عن مكتب السيستاني عقب اللقاء، هي: لا للحصار، لا للعنف، لا للظلم، لا للفقر، لا لكبت الحريات الدينية، لا لغياب العدالة الاجتماعية، ولا للتطبيع. هذا اللقاء كان فرصة لقداسة البابا حتى يشكر اية الله السيستاني لانه رفع صوته، مع الطائفة

يتقلص عدد المسيحيين في العراق، فيما يحلم بالبقون منهم في البلاد بالمغادرة



لقاء البابا مع السيستاني مهم في رمزيته ومغزاه الديني والانساني.



عصفت اضطرابات مسيحيي العراق على مدى قرون.

الشيعة، بازاء العنف والصعوبات الكبيرة التي شهدتها السنوات الاخيرة دفاعا عن الضعفاء والمضطهدين، مؤكدا قدسية الحياة البشرية واهمية وحدة الشعب العراقي.

اية الله السيستاني كان له الدور الاساس في وقف زحف داعش على المدن العراقية، واعدة تلو اخرى حتى بلغ مشارف العاصمة بغداد، وذلك من خلال الفتوى الشرعية التي اصدرها ودعوته الى الجهاد الكفائي، الذي على اثره هبت الجماهير العراقية، وتأسس الحشد الشعبي. عاد الكثيرون من المسيحيين وغيرهم الى منازلهم واستعادوا ممتلكاتهم، وقاموا باعادة بناء كنائسهم ومعابدهم التي تم تفجيرها وتدميرها، وتهيأت الظروف بعد ذلك لطرح فكرة قيام بابا الفاتيكان بزيارة الى العراق من اجل مواسة المسيحيين، واعطاء الدعم المعنوي الى الذين تحملوا المخاطر وتشبثوا بالارض وقدموا التضحيات. من هنا، كان من البديهي والواجب على البابا فرنسيس ان يجعل على رأس برنامج زيارته الرعوية التاريخية للعراق اللقاء مع المرجع الاعلى للطائفة الشيعية في منزله المتواضع في احد الازقة الضيقة في مدينة النجف الاشرف.

اوساط لبنانية شيعية تعتبر ان زيارة الحبر الاعظم البابا فرنسيس الى العراق لم تكتسب اهمية تاريخية فقط لكونها تأتي كأول زيارة لحبر اعظم الى العراق في تاريخ البابوية، بل لرمزية اللقاء عبر زيارة مدينة النجف الاشرف، واللقاء مع المرجع الديني الاعلى للطائفة الاسلامية الشيعية اية الله العظمى السيد علي السيستاني، في لقاء هو الاول من نوعه بين اعلى مرجعيتين دينيتين كاثوليكية وشيعية على الاطلاق. وتؤكد مرجعيات دينية وسياسية في لبنان على ان الزيارة ستكون بداية حوار اسلامي - مسيحي بناء وفاعل، وكون لقاء النجف التاريخي يأتي بعد ثلاث سنوات من تحرير العراق من داعش كحالة او كدولة انفلشت في العراق وعاشت خرابا ودمارا، وفي ظل فتوى للسيستاني محاربة العراقيين الشيعة لداعش، وهو ما ادى الى هزيمتها وتفريقها حاليا الى جيوب صغيرة غير متماسكة. كما حافظت الحرب على داعش على ما تبقى من وجود مسيحي رغم تناقصه الى الربع في

العراق، وحافظت على رمزية هذا الوجود رغم الحرب والدماء الكثيرة التي سالت من المسيحيين والمسلمين في العراق، سنة وشيعة وايزيديين. وترجح الاوساط ان ينعكس لقاء النجف على العلاقة بين ايران والفاتيكان، وصولاً الى العلاقة بين حزب الله وبكرتي. لم تبدأ موجة الهجرة والنزوح سوى مع احتلال الولايات المتحدة العراق عام 2003، ثم استكملت مع تنظيم داعش الذي لم يفرق في وحشيته بين الاقليات والمسلمين.

تساهم الظروف الاقتصادية الصعبة اليوم في استمرار هجرة المسيحيين. ازدادت الازمة بسبب جائحة كورونا، وقد نتجت اصلاً عن انهيار اسعار النفط وهبوط اسعار العملة المحلية في مقابل الدولار وتفشي الفساد في الدولة. وادى ذلك الى تأخير او خفض رواتب موظفي القطاع العام في العراق وفي اقليم كردستان الذي يتمتع بحكم ذاتي، والذي يعيش فيه عدد كبير من المسيحيين. يقول المسيحيون انهم امام معضلة: اما العودة الى منازلهم المدمرة، واما اعادة توطينهم في



لم يفرق تنظيم داعش في وحشيته بين الاقليات والمسلمين.

اماكن اخرى في العراق، واما الهجرة من بلد اثبتت التجارب انه لا يستطيع حمايتهم. وقال الكاردينال لويس ساكو، رئيس الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية في العراق: "في العام 2014، اعتقد المسيحيون ان نزوحهم سيستمر على البقاء في ارضهم ووطنهم.

بضعة ايام فحسب، لكنه استمر ثلاث سنوات. فقد كثيرون الامل وهاجروا، لا امن ولا استقرار". الان، بعد زيارة البابا، استعادوا الثقة بانفسهم والامل في المستقبل، وازدادوا تصميماً على البقاء في ارضهم ووطنهم.

الوجود المسيحي في العراق

عصفت اضطرابات مسيحيي العراق على مدى قرون، لكن موجة النزوح الجماعي لم تبدأ الا بعد الغزو الذي قاده الولايات المتحدة في العام 2003، وتسارعت وتيرتها في عهد تنظيم داعش الذي لم تفرق وحشيته بين الاقليات والمسلمين. وغادر مئات الالاف الى المناطق المجاورة وإلى الدول الغربية. في سهل نينوى في شمال العراق، وهو موطن لبعض من اقدم الكنائس والاديرة في العالم، يعيش معظم المسيحيين الباقين نازحين في قرى سقطت بسهولة في قبضة داعش في العام 2014، او داخل جيوب في مدن اكبر، مثل الموصل والمنطقة الكردية القريبة. انتهى حكم المتشدد الذين اتخذوا الموصل عاصمة لهم على ما يقرب من ثلث اراضي العراق في العام 2017، بعد معركة مدمرة مع قوات الامن، لكن لا يزال الدمار المادي والخراب الاقتصادي ماثلاً للعيان.

تواجه السلطات العراقية صعوبات في اعادة بناء المناطق التي دمرتها الحرب، وتتنافس جماعات مسلحة خارجة عن سيطرة الحكومة على الارض والموارد، بما في ذلك في معاقل المسيحيين. غادر بعض المسيحيين خلال الاجتياح الاميركي للعراق، واخرون خلال الحروب الطائفية التي احتل خلالها جهاديون قراهم، وغيرهم بسبب الازمة المعيشية الحالية. موجة هجرة بعد اخرى، يتقلص عدد المسيحيين في العراق، فيما يحلم الباقون منهم في البلاد، بالمغادرة. تعيش عائلات مسيحية عراقية كثيرة في كردستان العراق، او في الاردن او استراليا او

غيرها من الدول، حينما الى وطن ترفض في الوقت ذاته فكرة العودة اليه. وعلق كل هؤلاء في الداخل والخارج امالاً على البابا فرنسيس حاملاً اليهم كلمات معزية مطمئنة، ولو انهم لا يتعلقون بالاوهام، في ضوء الازمات الامنية والاقتصادية المتلاحقة والتوترات السياسية التي تعيشها البلاد. تساهم الظروف الاقتصادية الصعبة اليوم في استمرار هجرة المسيحيين. وازدادت الازمة بسبب جائحة كوفيد - 19، وقد نتجت اصلاً من انهيار اسعار النفط وهبوط اسعار العملة المحلية في مقابل الدولار وتفشي الفساد في الدولة.

على الرغم من غياب احصاءات دقيقة عن عدد المسيحيين في العراق بسبب عدم اجراء تعداد سكاني منذ سنوات، يقول وليم وردة رئيس منظمة حمورابي التي تتولى الدفاع عن الاقليات في العراق ان هناك حالياً 300 الى 400 الف مسيحي في العراق في مقابل مليون ونصف مليون قبل الغزو الاميركي عام 2003 الذي انتهى باطاحة نظام صدام حسين. وبأبي ذلك بعدما غادر ما يقرب من نصف مليون منهم الى الولايات المتحدة، وتوجه اخرون الى دول اسكندنافية واوستراليا. وفي بغداد، تقلص عدد المسيحيين من 750 الفا في 2003، بنسبة 90 في المئة.

ويقول الايكونوموس يونان الفريد، الوكيل العام للروم الارثوذكس في العراق، انه مع انخفاض عدد المصلين اغلقت ما بين 20 الى 30 في المئة من كنائس العراق.

لبناني

أكثر من 65 سنة